بؤس ضر حتى ان بزتي ثيابي هدم عار لفة في القارية وسيء ما نطوى نطوف
به فارغ هذا اللفظ كناية عن قلة الطعام في دار واحد بقد الكفن بن تولبا مراعاة
ووقفت على قيس بن سعد بن عبادة فقالت اشكو اليك قلة الجرذان في بيتي فقال
ما احسن هذه الكناية املئوا بيتها خبزا ولحما وسمنا وقد اعاد الماتن رحمه الله
هذا المعنى منظوما في المقامة الثالثة والثلاثين فقال

واعملت ربعي حتى خلت منذ بعي المحل جرذانه

فالمرء لعالهم اقلب الوالي واوى اشفق لهما من غير الليالي حوادثهما
وصبا ماله الى اختصاصهما بالاسقاف وامر النظار الناس الناظرين
اليهما بالانصراف قال الراوي وكنت متشوقا مستطلعا الى مراي الشيخ لهما لعلي
اعلم علمه اذا عاينت رايت عيانا وسمة علامته ولم يمكن الزحام بسعو
بكشف عنه ولا يدرج لي فادنو واقترب منه فلما تقوضت تفرقت وانفضت
الصفوف واجتمع ابهم الوقوف توسمته نظرة وتاملته فاذا هو ابو زيد
السروجي والفتى الشاب فتاه ابنه فعرفت حينئذ مغزاه مقصده فيما اتاه
وكدت اردت انقض اسقط عليه لاستعرفه بنفسي اليه وافخر بمعرفته عند
بايماض لمعان طرفه عينه قال الشريشي رحمه الله تعالى وكثيرا ما ينص الحريري
في مقاماته على الاشارة المغنية عن التصريح بالعبارة وهو مذهب للعرب
ولبيان الادب وقد ورد كناية تغني عن الايضاح ورب لحظ يدل على ضمير
وفي اشارة اللحظ يقول الشاعر

اشارت بطرف العين خيفة اهلها . اشارة محزون ولم تتكلم
فايقنت ان الطرف قد قال مرحبا . واهلا وسهلا بالحبيب المتيم

ومما وقع للعلامة المفيد الفهامة الوحيد المفنن في الادب المتمسك منه
باقوى سبب الشيخ ابي بكر بن سالم القناوي الشهير بالبحيري اسكنه الله
بفضله الجنان في اعلا غرف الجنان انه سافر صحبة الحاج المصري الى القاهرة
وكانت اغصان شبابه بفضله زاهرة ولما راى خدم امير الحاج وخدم
من معه من الاكابر اذا وصلوا الى الدار التي هي منزل الحاج وراوها من غير ساتر
يتقدمون الى ما انتصب الخيام وايقاد قناديل يسمونها الاشارات وبادرت
دليل الحاج بانصح العبارات عبرت الدار باعيان انشد في الحال قبل حط
الرحال هذه الابيات

لما وصلنا الى الدار التي نزحت . وقد سئمنا من الترحال في الظلم
واخبرتنا اشارات محققة . ان المطايا المنتا على الخيم
نادى البشير عبرت الدار وهو بها . وفي الاشارات ما يغني عن الكلم

فانظر رحمه الله كيف عبر باحسن العبارات ونقل الاشارات الى الاشارات زجع
واستوقفني امرني بالوقوف بايماء اشارة كفه يده فلزمت موقفي واخرت

منزلي

منزلي في رجوعي فقال الي الوالي ما امرك مرادك ولايما سبب مقامك فوقفك
قال بحرم الشيخ فقال ان انيسي صاحبي الذي انا انس به وصاحب ملبوسي
ثيابي فتبسم عند هذا القول ربما انيسي اي اولاني منه بالموانسة ورخص
في جلوسي ثم اما من افرغ عليهما خلعتين كسوتين ووصلهما بنصاب
عشرين دينارا من الدنانير الذهب واستعهدهما استحلفهما واخذ
عهدهما ان يتفاشيا ان يتصاحبا بالمعروف الى ان الاول بدنو اليوم المخوف
يريد يوم القيمة فنهضنا فاما من نادينا مجلسه مشيدين رافعين صوتهما
بشكر اياديه نعمه وتنعتهما لا اعرفه ثواهما مسكنهما وانزودين
خواهما احد يثقفنا فلما اجزنا اخلفنا حمى الوالي وافضينا وصلنا الى الفضا
المحل المتسع من الارض الخالي ادركني احد جلاوزته اعوانه ويسمى الجلاوزة
لجلوزة عمرو وهي شدة سعيهم بمرور تبيغ نمر بين يدي اميرهم يهيا داعيا في
الجوزته يوضعه الذي حازه فقلت لابي زيد مما اطنه استعفض في طلب
حضوري الا ليستخبرني يسالني فماذا اقول وحسن ان يذكر في هذا
المحل ما وقع لبعض المشهورين بالادب والوفاء وهو انه ورد على بعض كرما العرب
تامدحه فابطا عليه بالجائزة لقلة ما في خزينته اذ ذاك فكتب اليه بعد
الابيات رحمهما الله

ماذا اقول اذا سئلت وقيل لي . ماذا لقيت من الجواد الافضل
ان قلت اعطاني كذبت وان اقل . لم يعطني شيئا نذالم يجمل
واختر لنفسك ما اقول فانني . لابد اخبرهم وان لم اسال

وارسلها اليه فاجابه الممدوح بهذين البيتين ومعهما شيء قليل وهما

عاملتنا فاتاك عاجل برنا . قلا ولو امهلتنا لم نقلل
فخذ القليل وكن كانك لم تسل . ونكون نحن كاننا لم نفعل

وبراي وادمعه اجول انصرف وامشي فقال يبني لم غباوة قلة فطنة فلمه وتلك حاج
لعي بلبه عقله لم تعلم ان ركبة لاقت اعصار الا عصار ريح شديد يثير الغبار
الى الجو حتى يصير كالعمود وفي المثل ان كنت نارا فقد لاقيت اعصارا يضرب للمدل
بنفسه اذا لقي اشد منه ومعناه ان كنت قويا فقد لاقيت اقوى منك وجدولة
نهر الصغير صلادة ثيارا موجا فقلت اخاف ان يتقد يشتد غضبه
فيمحك ليهيه او يستشزرى يتنشر طيشه خفته من الغضب فيسرى
البر بطشه ايقاعه بك وتناوله لك بما يكره وفي معنى تخويف السروجي من
عقاب الوالي ما حكى ان العباس بن حنون دخل عليه في السجن من اعلمه ان
ابراهيم بن الاغلب يريد قتله فلم يجد مفرا فقال معلمه بالخبر واحسن في
قوله رحمه الله تعالى

تخوفني بمخلوق ضعيف . يهاب من المنية ما اهاب

Copyright © King Saud University